Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 27:1 (1992

الحكيم الفيلسوف
موسى بن ميمون القرطبي الاندلسي
٥٣٠-٦٠٣هـ(١١٣٥-١٢٠٥م)
وكتابه دلالة الحائرين

د. مصطفى شاهين

هو أكبر فيلسوف يهودي ظهر في العصور الوسطى وقد ولد في ٢٠/مارس عام ١١٣٥م بقرطبة وتوفي في عام ١٢٠٤ أو (١٢٠٥) في القاهرة ، ثم نقلت رفاته إلى طبرية بعد ذلك .

وهو يعد ربيب الفلسفة الإسلامية مع كونه يهوديا ، إذ تلقى العلم على يد ثلاثة من العلماء المسلمين هم : أحد تلاميذ أبي بكر بن الصائغ (ابن باجة الفيلسوف) وابن الأفلح وابن رشد (الفيلسوف). وله مؤلفات في الدين اليهودي منها رسالة (بالعبرية) في حسبان الميقات للأعياد اليهودية ، ورسالة في أسس المنطق وتفسير لكتاب المشنا سماه كتاب السراج ، وكان هذا الكتاب وحده كافيا لتخليد اسمه في تاريخ اليهود ، كما أن له أيضا كتاب (دلالة الحائرين) الذي بسببه ذاعت شهرته كفيلسوف: وكموفق بين الدين والفلسفة على نمط فلاسفة الإسلام ، وفيما يلي سنورد تلخيصا لهذا الكتاب ... ولكن قبل هذا نقول إنه قد ألف هذا الكتاب بين عام ١١٨٦وعام ١١٩٠م لتلميذه يوسف بن عقنين وقد كان يرسل له ما يكتبه فصلا فصلا ، وله إلى جانب هذا رسالة اليمن كتبها بالعربية إلى يهود اليمن وله أيضا إلي جانب ذلك مقالة عن البعث .

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وعلاوة على ذلك له جانب آخر هام وهو الطب : إذ كان طبيبا في بلاط صلاح الدين الأيوبي وأبنائه ... وهو القائد الإسلامي الذائع الصيت في الحروب الصليبية وفي التاريخ على الإطلاق .

والقارئ لتاريخ الاندلس في العهد الإسلامي يشعر على الفور كم كانت الحضارة الإسلامية واسعة وعميقة بكل ما في الكلمات من معنى وذلك بفضل وراثة المسلمين لكل حضارات العالم القديم باستثناء الحضارة الصينية وأنهم قد تمثلوا هذه الحضارات وصبغوها بصبغتهم الخاصة ، مما انعكس أثره وتأثيره على كثير من أهل هذه الحضارات فكانت بذلك الحضارة الإسلامية حضارة عالمية فريدة جامعة في العصور الوسطى.

وكان لمبدأ المساواة في الحقوق بين جميع أفراد المجتمع : المسلم منهم وغير المسلم في هذه الامبراطورية العظيمة أثره العظيم في جعل ذلك المجتمع مجتمعا واحدا بحيث أصبح المسلم وغير المسلم استاذا أو تلميذا بعضهم لبعض ... مما أسفر في النهاية عن وجود شخصيات كثيرة ولامعة من غير المسلمين الذين عاشوا في هذا الوسط الإسلامي وتشبعوا بمبادئه ونهلوا من حضارته ... ومن هؤلاء ابن ميمون الذي نكتب عنه هذه السطور ... فهو بحق يعتبر أحد الفلاسفة الذين نشأوا في ظل الدولة الإسلامية ومن ثم يستحق أن يلقب بأحد فلاسفة الإسلام أسوة بشخصية أخرى لها وزنها في تاريخ نقل الثقافة اليونانية إلى المسلمين وهو حنين بن إسحاق النصراني الذي عده الشهرستاني فيلسوفا إسلاميا وإذن فلا حرج في

تسمية ابن ميمون هو الآخر بأحد فلاسفة الإسلام ، ولا نقول هذا من ناحية الشكل فحسب بل ومن ناحية الموضوع أيضا ، إذ أن أي دارس لكتاب (دلالة الحائرين) يرى أن ابن ميمون في هذا الكتاب حتى في مناقشاته لنصوص التوراة إنما يصدر عن فكر وثقافة إسلامية ، بل إنه عندما ينتقد المتكلمين المسلمين يكون نقده لهم بأسلوب خال من الشدة التي ينتقد بها المتكلمون المسلمون بعضهم لبعض ، وعلي العكس من ذلك فإنه ينتقد دينه بشكل أشد ، وهو إلى جانب ذلك يدافع عن اليهودية بالأسلوب الذي جاءت به الفلسفة الإسلامية ومتكلموها .

هذا عن ابن ميمون نفسه فما ذا عن كتابه (دلالة الحائرين):

. **Guide of Perplexed** .

تحليل لكتاب دلالة الحائرين :

كتب ابن ميمون هذا الكتاب – كما قلنا آنفا – في الفترة بين عام ١١٨٦م وعام ١١٩٠م لتلميذه يوسف بن عقنين وقد كان يرسل له ما يكتبه فصلا فصلا ، وكانت كتابته له باللغة العربية لكن بحروف عبرية ، وأنه اعتمد على المصادر العربية والعبرية عند كتابة هذا الكتاب ، وكانت هذه عادة علماء اليهود في هذا العصر وفي الأندلس بالذات ، أعني أن يكتبوا العربية بحروف عبرية .

الملامح العامة لكتاب دلالة الحائرين :

يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء يصدر الجزء الأول منها برسالة (ابن ميمون) إلى تلميذه يوسف بن عقنين ، ثم مقدمة في

غرض المؤلف من تأليفه «دلالة الحائرين» ويحتوي الجزء الأول على ٧٦ فصلا والثاني على ٤٨ فصلا والثالث على ٥٤ فصلا ، أما المقدمة التي وضعها للجزء الأول فيبين فيها أن غرضه من الكتاب كله إنما هو بيان شيئين :

الأول : تبيين معاني أسماء جاءت في كتب النبوة (اليهودية) منها ما هو مشترك فحملها الجهال على بعض المعاني المشتركة دون البعض ، ومنها ما هو مستعار فحملوها أيضا على المعنى الأول الذي استعيرت منه ، ومنها ما هو مشكل فتارة يظن بها أنها تقال بتواطؤ ، وتارة يظن بها أنها مشتركة ، وغرض المؤلف هنا هو بيان ما يجب أن يفهم من معاني تلك الأسماء المشتركة أو المستعارة أو المشككة .

أما الغرض الثاني : فهو تبيين أمثال خفية جدا جاءت في كتب الأنبياء عليهم السلام ، ولم يصرح بأنها مثل ، بل يبدو للجاهل والذاهل أنها على ظاهرها ولا باطن فيها ... عندئذ يحدث له حيرة شديدة ، فيجئى هذا الكتاب ليكشف عند هذه الإشكالات لا كلها بل أكثرها وأعظمها ، وقد ضرب مثلا علي ذلك بأن قصة الخلق هي العلم الطبعي ، وقصة الأمر هي العلم الآلهي ، الذي لا يعطي لكل أحد ما لم يكن حكيما ويفهم بنفسه عندئذ نعطي له رؤوس الفواصل أي رؤوس الموضوعات دون استقصاء وذلك عملا بالغرض الالهي الذي جعل الحقائق خفية عن جمهور الناس فقال : سر الرب لمستقيه...

ثم يشرح في الفصل الأول من الجزء الأول معنى صورة

ومثال الواردين في مفتتح سفر التكوين عن خلق آدم عليه السلام والمبدوءه بعبارة « لصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» ويبين ابن ميمون أنه من الخطأ هنا فهم الصورة بالمعنى المادي ، بل المراد هو الصورة النوعية التي هي الإدراك العقلي لا الشكل والتخطيط...

وهكذا يستمر ابن ميمون في شرح معاني الكتاب المقدس (التوراة) التي ضل فيها الناس ضلالا كثيرا ... فيشرح في الفصل الثاني ، وضع الإنسان الأول وهبوطه وفي الفصل الثالث يشرح معنى الشكل والهيئة وفي الفصل الذي بعده يشرح معاني : رأي ونظري وحزي ... ثم مختاري بني إسرائيل ثم ما هو معنى الرجل ، والمرأة... والولادة والمكان ، والكرسي والنزول والجلوس والقيام والوقوف ... وهكذا يستمر في شرح أمثال هذه الكلمات مما يسمى في المصطلح الإسلامى بالألفاظ المتشابهة والموهمة مشابهة الله للمخلوقات وبسببها ضل أناس كثيرون عن الحق ...

ابن ميمون ينفي عن الله تعالى الجسمية والمشابهة ، وينفي عن الله تعالى الصفات الذاتية غير صفة الفعل (فصل ٥١، و٥٥ ، ٥٦) ويقول كما يقول بعض علماء الكلام من المسلمين والفلاسفة بأن وصف الله تعالى الصحيح لا يكون إلا بالصفات السلبية ، فإن هذا أليق بذاته تعالى .

أما في الجزء الثاني : فيتكلم فيه عن خمس وعشرين مقدمة محتاج إليها إثبات وجود الله تعالى وفي البرهان على كونه لا جسما ولا قوة في جسم وقد شرحها فيما بعد العلامة المرحوم الشيخ محمد

بن أبي بكر التبريزي من رجال منتصف القرن السابع الهجري ونشرها الشيخ زاهد الكوثري ، ومن هذه المقدمات قوله : إن وجود ما لا نهاية له محال وقوله إن وجود أعظام (أي أجسام) لا نهاية لعددها محال ، وقوله إن وجود علل ومعلومات لا نهاية لعددها محال...وهكذا يستمر إلى نهاية المقدمة الخامسة والعشرين ، يلي ذلك باقي فصول هذا الجزء وعددها ٤٨ فصلا كماسبق القول ، ويبدأ الفصل الأول بقوله : في أدلة فلسفية على وجود العلة الأولى ووحدانيتها وعدم جسمانتيها ... ثم يستمر في شرح باقي أجزاء العالم بدءا من اثبات حدوثه ، وأسباب حركة الأفلاك وذوي النفوس ومعنى الملك (الملاك) في الكتاب المقدس ... وهكذا يمر على عالم ما فوق فلك القمر نزولا منه إلى عالم ما دون فلك القمر ... أي الأرض وما عليها ... ويبدوا هنا تأثره الواضح جدا جدا بفلاسفة الإسلام لا سيما الفارابي حين يذهب إلي مثل ما ذهب إليه في شرح ظاهرة النبوة وحقيقتها ... ومعنى الفيض ما هو ... والاتصال بالعقل الفعال .

أما الجزء الثالث : فقد ذكرنا قبل أنه يحتوي على ٥٤ فصلا بدأها بمقدمة فسر فيها بعض الألفاظ مثل : قصة الخلق وقصة الأمر ... وأمثال ذلك وهو يعني هنا بشرح سفر النبي دانيال (عليه السلام) أحد أسفار كتب اليهود المقدسة ثم بعد ذلك يدخل إلى فصول الكتاب ... ويبدأ الفصل الأول هنا بتفسير أربعة وجوه لأربعة حيوانات ويفسر بعد ذلك معنى الحيوان والدولاب وحركتهما وأن معنى الدواليب هي السماوات عند يوناتان وأن هنالك ثلاثة أنواع من

الإدراكات : إدراك الحيوان وإدراك الفلك وإدراك الإنسان .

ويمر في شرحه على مسألة الخير والشر ويبين أنواع الشر وأسبابه ، وعلم الله تعالى المحيط بكل شيء ... وما معنى العناية الإلهية ... وآراء أيوب عليه السلام وأصحابه فيها ... ومقاصد الشريعة وأنها شيئان : صلاح النفس وصلاح البدن .

وما هي الحكمة بأن الله تعالى ينزل الشريعة ضد الوثنية ولا يستأصلها مباشرة ... وهكذا يستمر في شرح أغراض الشريعة ومقاصدها بما يذكرنا بنظيرها تماما لدى علماء المسلمين ممن عاشوا في الاندلس مع ابن ميمون مثل ابن رشد ... وممن عاشوا في الشرق مثل المعتزلة والأشاعرة وقد أشار إليهم صراحة في ص ١٨٠ ، ف ٧١ من الجزء الأول حيث ورد في تعريف علم الكلام الإسلامي وأنه العلم الفلسفي عند المسلمين وذكر ما أخذه اليهود عنهم في ذلك ، كذلك ذكر في ف ٧٣ من هذا الجزء المقدمات العامة التي وضعها المتكلمون علي اختلاف آرائهم وهي اثنتا عشرة مقدمة منها إثبات الجوهر الفرد ... والقول بالخلاء ... وهكذا ... كذلك شرح نظرية الحدوث عند المتكلمين المسلمين (ف٧٣ ج١)ودلائل التوحيدعندهم (ف ٧٥ ج١) ونفي التجسيم على مذهبهم (ص ٧١ ج١) ... وغير ذلك ، مما يدل دلالة صريحة على تأثر ابن ميمون بالبيئة الإسلامية التي عاش فيها وهذا يتضح مما ذكرناه من موضوعات مما انعكس أثره على تلاميذه كذلك فصرحوا به وكذا جلة المستشرقين اليهود الذين كتبوا عن الفكر اليهودي في العصور الوسطى ، ومدى تأثره الواضح بالفكر

الإسلامي لدرجة أن تراث المسلمين الثقافي الذي ضاع مع ضياع الأندلس ، وجدت لبعض كتبه المفقودة أصولا بالعبرية نقلها اليهود بألفاظها العربية لكن بحروف عبرية فحفظت من الضياع وأمكن الانتفاع بها الآن ...

ونختم هذه المقالة عن ابن ميمون بذكر الروح العامة التي تسود هذا الكتاب وأنها عبارة من إدماج مبادئ أرسطو ونظريات فلاسفة المسلمين وصبغها بصبغة خاصة هي مزاج ابن ميمون نفسه مع نقده لها ، إلى جانب نقده لآراء كبار المفكرين من أبناء جلدته مضيفا إلى ذلك ما قدمه من تجاربه هو في الحياة مما شوّق رجال الدين اليهودي إلى الدرس الفلسفي في شرح آيات الكتاب المقدس ونصوص المشنا والتلمود ، وبذلك أصبح ، « دلالة الحائرين » مصدر الدراسة المنطقية للتوحيد الإسرائيلي .

وكان من أشهر تلاميذه الذين اقتفوا أثره : يوسف بن عقنين والحكيم كالب وسعديا الفيومي ، وصاموائيل بن طبون مترجم كتاب « دلالة الحائرين» .

وقد انشترت كتب ابن ميمون بعد وفاته في الشرق والغرب واستمد منها نصوصا وآراء كبار المفكرين من أمثال جيّوم الافرجيني (ت ١٢٤٩م) وألبرت الأكبر (ت ١٢٨٠م) وكان لإحراق (دلالة الحائرين) وتحريم قراءته ١٣٠٥م أثر كبير في ذيوعه ، وقد حظى على عناية كبيرة من الشراح والمترجمين يحسن لمن أراد معرفتها أن يرجع إلى كتاب الأستاذ إسرائيل ولفنسون (موسى بن

ميمون) ... الذي ألف كتابا خاصا عنه ...

وعلى الجملة فقد كان موسى بن ميمون علما من أعلام اليهود الذين نشروا الفلسفة الإسلامية في أوربا ، وإلى هنا ينتهي بنا القول في هذه العجالة السريعة عن تعريف بابن ميمون وكتابه «دلالة الحائرين» ومنزلته بين مفكري الاسلام ...

مصادر رئيسية للبحث

١) دلالة الحائرين لابن ميمون : ترجمة من العبرية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسين أتاي التركي ، ونشر من مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرية ، بدون تاريخ وهو يقع في ٧٤١ صفحة من القطع المتوسط وهذا عدا الملاحق .

٢) إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته ... مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٣٦م .

٣) مدكور (إبراهيم بيومي) : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، الجزء الأول ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

٤) أحمد أمين : ظهر الإسلام الجزء الثالث .